الأخلاقيات الدينية في زمن العولمة والتكنولوجيا الغربية

الدكتور محمد بوزغيبة
جامعة الزيتونة. تونس

جاءت سائر الأديان لتقديم الغذاء للجزء المكمّل للجسد – الغذاء الرّوحي– فركـزت علـى البعد الأخلاقي والقيميّ، وأولت المثل اهتماما واضحا، حتى ظهر خـاتم الأنبـياء محمـد صـلى الله عليـه وسلـم، وأثبت أنه بعث ليتمّم مكـارم الأخـلاق، وركّز في سنته القولية والفعلية على القيم الأخلاقية.

وأثبـت التاريخ أنه كلما قدست أمة الأخلاق كلما عمّرت حضارتها، وكلما سـاءت أخـلاق الشـعوب كلمـا آلـت إلى الزوال، والبوار، والاندثار، ولنا في الحضارة الرومانية قديما، وفي المعسكر الشيوعي حديثا البرهان الساطع على قيمة الأخلاق في تعمير الحضارات وتطويرها، أو سحقها وتدميرها.

وتقدم العقل البشري، وبلغ الآفاق، واكتشف الألغاز وأحدث صيحات تقنية مذهلـة في شتى الميادين، وتطور المستوى المعيشي، والمعرفي بشكل مدهش في المجـال المـادي، ولكـن مـع حلول القرن الجديد برز منظّرون جدد. فهل أولوا الأخلاق والقيم عناية خاصة؟ هل أدرجوها في برامج مخططاتهم في زمن العولمة والتقدم التكنولوجي؟ وما هو دور المسلمين في هذا العالم المتغير؟

فلسفـة الأخـلاق:

إنّ علـم الأخلاق هو مجموعـة من المبادئ المعياريـة التـي ينبغي أن يجـري السـلوك البشـري علـى مقتضـاها، والغاية منه صون الإنسـان عن الخطايـا في سلوكه، بحيث يكون مستقيما في قصده وفعله وغرضه، بعيـدا عن الهوى والتقليد الأعمى.

فعلـم الأخلاق يتوخى إصلاح الفرد، والجماعة بملازمة الصراط المستقيم فـي السـلوك، والغايـة منه وجود مجتمع يسود فيه العدل، والأمن والتعاون على صـيانة الحـياة من الفساد والمظالم، ومن كل ما يشقيها، ويرهقها، والسير بها إلى

الأكمل، والأفضل. إلا أنّ هذه الأطروحة، تجد من يناهضها عند لفيف من فلاسفة الأخلاق الذين يقولون: "لا أصول وبذور في طبيعة البشر للأخلاق، ولا وحي نزل فيها على الإطلاق إلا عند الذين آمنوا به وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، وعليه فإنه عبارة أخلاقية مثل الوفاء والإحسان إن هي إلا تعبير عما في نفس قائلها من شعور ذاتي تسرب إليه من عادات قومه وتقاليد بيئته[1].

ومن نتائج أطروحتهم ما ورد في مجلة عالم الفكر الكويتية: "أن جريحا من البيض في الولايات المتحدة احتاج إلى عملية نقل الدم، ولم تتفق فصيلة دمه إلا مع فصيلة دم ملون، وقد تبرع هذا المسكين إلى الجريح بدمه لوجه الله، والإنسانية، ولكن الممرضة أخذت الزجاجة التي فيها دم الملون وكسرتها وتركت الجريح يموت كي لا يختلط دم العبيد بدم السادات؟[2]

فهل هذه إنسانية أو وحشية؟ وهل قتل الأولاد من إملاق دليل على ضغط الفقر وكفره، أو على قسوة الأمومة والأبوة؟ وهل قانون القتل والنهب، وإباحته من وحي الله، والضمير، أو من الخطأ، والجهل بالمقاييس، والمعايير؟.

هذا في القرن المنقضي. أما في القرن الجديد، قرن العولمة، ووسائل الاتصال الحديثة، وعصر الثقافة المتطورة، فإن المنظومة المادية طغت على القيم الروحية.

التطور التقني الحديث:

توصل العلم الحديث في مجال علم الحياة إلى تطورات تقنية مذهلة منها:

- التمكن من حل الشفرة الوراثية للجينوم البشري، فهو اكتشاف جديد لم يكن متوفرا لدى العلماء القدماء، ويعتبر من أخطر الاكتشافات في تاريخ البشرية.

- التطور الهائل في قدرة العلماء على استنساخ عدد كبير من الحيوانات انطلاقا من النعجة "دوللي" ووصولا إلى استنساخ الطفلة حواء في نهاية عام 2002 حسب ادعاء الطائفة الرائيلية التي نشرت الخبر، في حين شككت المختبرات العالمية في صحة هذا الإدعاء.

- تمكن العلماء من الحصول على ما يسمى خلايا المنشأ، وهي الخلايا التي لها القدرة على إعطاء إنسان كامل. وتمتاز هذه الخلايا بالقدرة على إعطاء أعضاء الإنسان كافة على حدة، ويكون ذلك من خلال التحكم في برنامج عمل الجينات أثناء زرعها في أنبوب الاختبار، ويضاف إلى ذلك إمكان استخدام هذه الخلايا بشكل سهل وواسع في عمليات الاستنساخ[3].

الفوائــد المبتغاة من عمليــات الاستنســاخ

حصر العلماء عدة فوائد من عمليات الاستنساخ منها:

– القيــام باستنســاخ للحيوانــات التي يُخشى من انقـراضها، أو التــي كانــت قد انقرضت.

– القيام باستنســاخ الحيوانات أو النباتات واستخدامها في الغذاء، وكذلك لإنتاج الأدويــة المختلفة في حليب تلك الحيوانات وما لهذا الأمر من أهمية على المستوى الإقتصادي.

– الاستنســاخ العلاجــي، ويتم باستنســاخ بعض الأعضاء التي يمكن أن تستخدم فــي الطب، ويدخل في هذا المجــال إمكــان تعديل أو إصــلاح الخلل الــوراثي في خليــة الشخص المصــاب بمرض ما ومن ثم يجــري استنساخها لكي يتخلص الإنسان من مرضه.

المخاطــر التي يمكن توقعهــا من عمليات الاستنســاخ:

من الأخطار المتوقعة من عمليات الاستنساخ:

– الأخطــار الصــحية غــير المعروفة على الإنسان المستنسخ، واحتمال احــتوائه على الطفرات الوراثية الضارة لصحته، ولمعرفة هذا النوع من الأخطار يجــب الاعتــبار من التجارب التي أجريت على الحيوانات ومنها: النعجة "دوللي" ويخــاف العلمــاء أن يــتم بطريقة الخطأ استنساخ نوع من البشر يحملون صفات وراثــية غريــبة، ويتساءل البعض عن إمكان أن نستنسخ ما يسمى بالكائنات غير السوية أو الأمساخ "les monstres".

– الأخطــار النفسية التي يمكن أن تلحق بالمستنسخ، والتي لا نعرفها إلى الآن فكل تجارب الاستنساخ أجريت لدى الحيوانات، ولا يمكن أن نكتشف الآثار النفسية على الحيوان المستنسخ، ولذلك فإن هذا المجال سيبقى مُظلما لأن تفسير النتائج المتوفرة مــن الــتجارب على الحيوانات لن تزيد في معارفنا في هذا المجال، وتخيل أن لك زوجــة وتــم استنساخها، وبعد سنة بدأت ترى نسخة زوجتك تكبر وتكبر، وعندما ســتكون أنــت وزوجــتك "غــير المستنسخة" في سن الخمسين فإن أخت زوجتك "المستنســخة" ســتكون في سن العشرين وهنا يتساءل البعض عن نوع الشعور أو العاطفــة التــي ستكون أنت عليها حين تنظر إليها، فهذه الشابة ما هي إلا زوجتك

عـندما كانـت في العشرين من عمرها، فما هو شعورك وأنت تراها ستتزوج من غيرك؟

-هناك خوف كذلك من أن تستخدم تقنيات الاستنساخ في أعمال أخرى منها تحسين النسل وما يترتب على ذلك من أخطار غير معروفة على المستقبل البشري[4].

الحكـم الشرعـي في الاستنسـاخ

نـاقش علماء الإسلام الرأي الشرعي حول إمكان تطبيق تقنيات الاستنساخ علـى الإنسـان، وقدموا عدة توصيات[5] منها توصيات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي جاء فيها:

"ظهـر أن تلـك القضية تكتنفها محاذير فادحة لن دخلت حيز التطبيق من أبـرزها العـدوان علـى ذاتية الفرد وخصوصيته، وتميزه من بيـن طائفة من أشـباهه، وكذلك خلخلة الهيكل الاجتماعي المستقـر، والعصـف بأسس القرابات والأنساب وصلات الأرحـام، والهياكـل الأسريـة المتعـارف عليها على مـدى التاريخ الإنساني.

وكمـا اعـتمدتها الشـريعة الإسـلامية، وسائر الأديان أساسا للعلائق بين الأفراد والعائلات، والمجتمع كله بما في ذلك من انعكاسات على أحكام القرابات، والزواج والمواريـث، والقانون المدني، والجنائي، وغيرها. وسبقت في هذا الباب فراضيات واحتمالات كثيرة".

وعلـى الـرغم من ذلك الرأي فان المنظمة قد أكدت أن الإسلام لا يحجر على حرية البحث العلمي ولا يقيدها. إذ يعدها من تكاليف الشريعة.

وتعتـبر المـنظمة أن الإسلام يقضي أن لا يترك الباب مشرعا من دون ضوابط تحول دون دخول تطبيقات نتائج البحث العلمي إلى الساحة العامة بغير أن تمـر على مصفاة الشريعة لتميز الحلال وتحجز الحرام، بحيث يسمح بتنفيذ شيء لمجرد أنه قابل للتنفيذ، بل لابد أن يكون خاليا من الضرر وغير مخالف للشرع.

كمـا ورد فـي توصـيات المـنظمة الإسـلامية للعلوم الطبية. فيما يتعلق بالرأي الإسلامي حول موضوع الاستنساخ ما يلي:

1- تحـريم كل الحالات التي يقدم فيها طرف ثالث على العلاقات الزوجية، سواء أكان رحما أو بويضة أم حيوانا منويا أم خلية جسدية للاستنساخ.

2- منع الاستنساخ البشري العادي (نقل نواة جسدية لبويضة منزوعة النواة) فإن تظهر في المستقبل حالات استثنائية، تعرض لبيان حكمها الشرعي من جهة الجواز أو المنـــع.

3- مناشـــدة الـــدول سن التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشـــرة أمـــام الجهات الأجنبية، والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون جعـــل الـــبلاد الإسلامية ميدانا لتجارة الاستنساخ البشري، والممارسات غير الشرعية في مجال الإخصاب البشري والترويج له.

4- الـــترويج إلـــى تشكيل لجان متخصصة في مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بـــرتوكولات الأبحاث في الدول الإسلامية، وإعداد وثيقة عن حقوق الجنين، تمهيدا لإصدار قانون لحقوق الجنين.

تثبـــت التوصـــية الأخـــيرة أن أعضـــاء المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية يصـــرون علـــى الجانـــب الأخلاقـــي توازيـــا مع المستجدات العلمية، لأن معظم الاكتشـــافات العلمـــية تـــنطوي علـــى جوانب سلبية ضارة بالإضافة إلى الجوانب الإيجابية النافعة وإن أهمية الاكتشاف تنبع من قدرة الإنسان على استثمار الجوانب الإيجابـــية، وعلى تلافي الجوانب السلبية، ولعل ذلك يكون بفضل القوانين الصارمة التـــي تعاقـــب مـــن يســـيء استخدام الاكتشاف العلمي على نحو يضر بالفرد أو بالمجتمع.

ولكن تبقى مساحة كبيرة لضبابية بعض القوانين، أضف إلى ذلك ما يسمى الحرية الشخصية التي لا نجد لها حدودا، خاصة في عصرنا الراهن.

فبالإضـــافة إلـــى المخاطر التي قد تنجم عن الاستنساخ العشوائي ما هي الأضرار الناجمة عن معرفة الجينوم البشري؟

الأضـــرار التي ستنجم عن معرفـــة الجينـــوم البشـــري:

قدم العلماء عدة تساؤلات في قراءة الجينـــوم البشـــري وحصروا مضاره على عدة أصعدة:

علـــى الصعيـــد الاجتمـــاعي:

- هـــل فـــي صالح الإنسان أن يعلم عن نفسه أمورا نعتبرها الآن في حوزة المســـتقبل؟ ومـــا شـــعوره إذا علـــم أنه سيموت في حوالي سن الأربعين، أو أنه سيصـــــاب بمـــرض شـــلل العضـــلات الذي يظهر في حوالي الخمسين؟ إن هذه

المسألة شبيهة بمن يرى الهلال في أول الشهر فيقول بأنه سيكون بدرا بعد أسبوعين، لأن قراءة الجين أصبحت حاضرا معلوما ينبئ بقادم محتوم، فما مذاق الحياة إن علم المرء ذلك وخاض حياته يترقب مصيره المعلوم، ووقوع البلاء خير من انتظاره[6].

- إذا قدر أن يكون لكل إنسان جينومه الخاص، فإن قراءة هذا الجينوم قد تؤخر في عمله الوظيفي، وخاصة إذا كشفت القراءة عن قابلية الشخص للإصابة بمرض قد يعيقه في مراحل متأخرة من حياته، كمرض السرطان وأمراض القلب، فإن معرفة الجينوم لشخص ما، قد يشكل له عائقا في حياته خاصة، كأن يرفض تزويج شخص تحمل مورثاته إمكان حصول مرض في مستقبل حياته، أو قد تؤدي قراءة الجينوم إلى طلب الطلاق من أحد الطرفين عندما يطلع على جينومه.

على الصعيد النفسي:

من المرجح أن الشخص حين يعرف أسرار مورثاته، سيعاني مرارة نفسية مستمرة قد لا تحمد عقباها، إذ ستؤثر بالضرورة على جميع جوانب حياته وقد تتفاقم أزماته النفسية الأمر الذي يتعذر حصر نتائجه على نحو يقيني ونتوقع من هذا الشخص الإجرام أو الانتحار ولا سيما في ظل هيمنة القيم المادية وانعدام القيم الروحية إلى درجة كبيرة.

على الصعيد العملي:

قد ترفض شركات التأمين على الصحة تغطية مريض بخدماتها لأنها تعده زبونا خاسرا، حيث تستطيع الشركة الإطلاع على الشفرة الوراثية لصاحب الطلب، حتى تتأكد من عدم وجود أي عيب وراثي، وسوف ترفض الطلب حين تتأكد أن المؤمّن قد يصاب بمرض في المستقبل وهذا بهدف السعي للربح الأكيد.

وقد بدأت الدول الغربية بإصدار التشريعات الضرورية لعدم السماح لشركات التأمين بالإطلاع على المعلومات الوراثية، أما بالنسبة إلى مجتمعاتنا العربية، فإن فكرة التأمين على الحياة لم تنتشر بشكل واسع بعد، وقد تضغط قوانين العولمة الجديدة على صناع القرار لإدخالها إلى مجتمعاتنا تحت أي مسمى آخر، حيث أن هذه الشركات الدولية متعددة الجنسيات سوف تحاول وبكل الوسائل غزو السوق العربية والإسلامية لأن هدفها تحقيق الربح المضمون.

قد يتقدم مريض لعمل وظيفي في مؤسسة ما، فيقع رفضه وتفضيل غيره عليه، وما يترتب على ذلك من مشاكل، فشركات التوظيف سوف تحاول استخدام من يملك الجينات القوية، والبعيد من ثبت عند قراءة شفرته الوراثية أنه سيكون عرضة لمرض ما.

على الصعيد القضائي:

- قد تلجأ المحاكم إلى طلب تحليل وراثي للمتهم حتى يثبت أو ينفي الإدعاء، ويتم ذلك بالتحليل الوراثي لبعض الآثار التي يعثر عليها رجال الأمن ومقارنتها مع حروف الشفرة الوراثية للمتهم في القضية.

- قد تلجأ بنوك الاقتراض إلى طلب التحليل الوراثي لصاحب القرض للتأكد من حالته الصحية قبل أن تمنحه القرض.

على الصعيد العائلي:

- قد تلجأ بعض العائلات إلى تبني بعض الأطفال لأسباب كثيرة، وحين ذلك قد يحاول بعضهم الإطلاع على موروثات الطفل بعد قراءة جينومه، وسيتم قبول الطفل فقط إذا كانت نتيجة الفحص قد أظهرت أن الطفل سليم من الأمراض، ويتمتع بموروثات يمكن وصفها بأنها عالية الجودة.

- في مجال التكاثر البشري، ستتيح قراءة الجينوم معرفة عاهات الجينوم الحالية، ومعرفة أفاته التي تنتظره في مستقبله القريب أو البعيد، وستزيد بذلك حالات الإجهاض حتى ولو كانت العلة هينة.

- ماذا لو رغب الوالدان في طفل يحمل سمة معينة مثل طول القامة، أو لون البشرة وإذا انتشر ذلك، فهل يؤدي إلى تغير المقاييس الحيوية سوية في المجتمع، بحيث تصبح الأقلية غير طويلة القامة مثلا خارج النطاق السوي؟ وهل في صالح المجتمع أن ينجب أطفاله حسب المطلوب لا حسب المقسوم، وأن تكون سماتهم صناعية لا طبيعية، أقلا يُزري ذلك إذن بهذه المواليد، فكأنها مصنوعات تحضر عمولة وحسب المواصفات، وربما من الكتالوج "catalogue".

على الصعيد الشخصي:

ما مدى إمكان صيانة المعلومات الجينية، وهي من خصوصيات الشخص الداخلة في نطاق حفظ سر المهنة، وهي مسجلة على قرص الكمبيوتر تتناولها

أيــادي غير طبية، ويسطوا عليها المتطفلون من الناس أو الهيئات أو الشركات أو الحكومات وهو تجسس لا يجوز؟

- فإذا تسربت هذه المعلومات، فهل يفضي ذلك إلى دفع هؤلاء الناس بأفتهم، ووسمهم بعلاتهم حتى ولو كانت مجرد احتمالات قد لا تجيء أبدا.

- وإذا أظهر الفحص أن هناك آفة من الآفات التي تسري في العائلات وأريد التحقق من وجودها، أو عدم وجودها في الأقارب، فهل يعد ذلك مسوغا لفض سر هذا الشخص إلى أقاربه لفحصهم، وهل تسمح الأخلاقيات الطبية بإبلاغهم بذلك؟

قــد يفضــلون أن لا تفتح عليهم هذه الجبهة، ويختارون أن تسير حياتهم في مسارها العادي، الذي قسمه الله دون أن يضيقوا عليها هما جديدا.

علــى صعيــد الاستقــرار العلمــي:

لقــد بدأ الحديــث من الآن عن الجينــات السلوكية، قال باحثون: "هناك جينا يدفــع لإدمان الخمــر، وإن هناك جينا للانحــراف الجنسي اللواطي، وهي مزاعم لــم تثبــت إلى الآن، ولكن إذا ثبتت، فهل تصلــح شافعــا لأصحابها يدفــع عنهم اللوم أو التجريم.

- ويمتد الحديث كذلك إلى تحسين سلالة البشر، بزرع جينات سليم مرغوب فيها، فيزرع في الجبان جين الشجاعة وفي العنيف جين الوداعة، وفي المرأة جين الغلظة وفي الرجل جين النعومة والرقة وهكذا...

ويعتبر العلماء ذلك من قبيل الاستقراء العلمي لا الواقع العملي، ولو جاء فهو مــنزلق خطير، إذ يكون العلم قد جاوز التحكم في الطبيعة إلى التحكم في الإنسان، وأســاس التفرد الإنساني هو أنه حر الاختيار، وهو لهذا مسؤول عما يختار، وأي عبــث بشخصــية الإنســان يغير من أهليته للمسؤولية الفردية هو إهدار للإنسـانية ذاتها، ولا يجيزه الإسلام بأي حال من الأحوال[7].

يتبين من هذه الأمور السابق ذكرها، أن معرفة أحرف الجينوم لشخص ما قد تــؤدي إلــى أن يطبق عليه ما يسمى بالتسييد الجيني، وهكذا فكما نرى أن التطور العلمــي قد يساهم من بعيد أو قريب في تعقيد بعض المشاكل الإنسانية فإن المجتمع الإنســاني يجابــه تحديــات واســعة النطاق خاصة فيما يتعلق بقدرته على تفعيل الجوانب السلبية والإيجابية التي تتصف بها معظم الاكتشافات العلمية.

وفـــي مجـــال اكتشـــاف الجينوم البشري وتطبيقاتها، يجب على المجتمع أن يعرف كيف يستفيد من التطبيقات الطبية الواسعة في الجانب الطبي لتحسين الوضع الصـــحي للمجـــتمع، وأن يعـــرف كـــيف يتجاوز كل الأضرار التي قد يصاب بها المجتمع جراء هذه الاكتشافات[8].

التلقيـــح الصناعـــي وأخلاقياتـــه:

أبـــاح فقهـــاء الإســـلام التلقيح الصناعي الخارجي ما لم يخالف النصوص الشـــرعية وقواعدهـــا العامـــة، وما لم يؤدي إلى اضطراب وفوضى في الأنساب، بالإضافة إلى ما يؤديه من مظالم كبيرة.

ومـــن الأســـباب المقبولة لدى الفقهاء كون الحيوانات المنوية للزوج غير نشـــيطة، أو غير كافية للتلقيح طبيعيا، أو صعوبة انتقالها عند المرأة، أو الضعف الجنسي أو وجود تشوهات في مهبل المرأة[3].

أمـــا المحاذيـــر المرفوضة شرعا والتي تتبعتها الدول الغربية دون نظر إلى القيم الأخلاقية فهي أكثر من أن تحصى، ومن ذلك:

- حقن المرأة من غير زوجها وهذا يؤدي إلى اختلاط الأنساب.
- ولادة أطفـــال لا يعرفون آباءهم لأن مانح المني مجهولا، وهذا يؤدي إلى فوضى عارمة في الأنساب.
- أحيـــت نســـاء الغـــرب نكاح الاستبضاع الذي كان مشهورا في الجاهلية فتبحث بعض النساء عن مني رجال عباقرة أو أذكياء...
- تلجـــأ بعـــض النســـاء إلـــى المتاجـــرة بأجنتهن بحيث تحمـــل وتبيع جنينهـــا لمن يدفع لها أكثر.
- يـــتم تلقـــيح بعض النساء بماء زوجها بعد وفاته، وذلك حرصا منها على اكتساب الإرث ويتم ذلك من خلال بنوك المني المنتشرة في الغرب.
- يتـــم تلقيح عـــدة نساء بمـــاء رجـــل واحد، بحيث يتحـــول النســـوة إلى وضع يشبه الأبقار.
- المتاجرة بالأرحام، واستعمال الرحم كحضانة للمواليد.
- انتشار الأمراض الوراثية التي يحملها الرجل ونقلها إلى الأجنة مما يسبب ولادة أطفال مشوهين[10].

الحاجـة إلى هيئـة إسلاميـة للأخلاقيـات:

فـي ظـل الـثورة التكنولوجية التي تجتاح العالم، وبعد التطور الهائل الذي يمضـي فـي وتـيرة غير مسبوقة في مجال المعلومات، والاتصال، وتطور علوم الإلكترونـيات، والجينـات، ومـا يرتبط بذلك من أفكار وعلاقات، أصبحت هناك معادلـة جديدة للتقدم تعتمد في الأساس على أخلاقيات القوى البشرية، فهي الفاصل بين التقدم والتخلف في عالم اليوم.

لهذا السبب رأت الإيبسكو تقديم مشروع وثيقة لأخلاقيات العلوم، إيمانا منها بـأن الأخلاقـيات هـي التـي ستدفع عجلة العلم والتكنولوجيا إلى خير الإنسانية، وسـتدفع عجلـة الديـن إلـى سبيل الهدى والرشاد استنادا على مرجعية إسلامية مقصـدها كفالـة مصالح الناس في معاشهم ومعادهم، واعتنت الشريعة الإسلامية بـالعلم وأحاطته بإطار من الأخلاق وتقوى الله، لكي لا ينتهي إلى ما يضر الإنسان ويسـيء إلـيه. وهـذا ما دفع الإيبسكو إلى إعداد مشروع وثيقة الأخلاقيات في الصيف المنقضي.

مشروع وثيقة الهيئة الإسلامية لأخلاقيات العلوم والثقافة:

يضـم المشـروع أربعة فصول، سأكتفي بإيراد الفصلين الأولين، أما الفصل الثالث فهو يضم طريقة تشكيل الهيئة، ويخص الفصل الرابع طريقة عملها[15].

أهمية إنشاء الهيئة الإسلامية للأخلاقيات في مجال العلوم والثقافة:

نظـرا إلـى الـتقدم الهائل والسريع الذي حدث، ويحدث في مختلف العلوم، والـتطـور التقنـي المـتعاظـم الـذي اتسمت به البحوث التطويرية في السنين الأخـيرة، والإمكانات المالية الضخمة التي تستثمر في مجالات البحوث، والمصالح المشـتركة للعلمـاء، والمؤسسـات البحثية، والاقتصادية في الاستثمار الأمثل لهذا الـتقدم العلمي، فقد أصبح لزاما أن يكون هناك منظور أخلاقي، وتشريعات قانونية تنظم وتحكم مثل هذا التوجه.

ونظـرا لتـنوع هذه التشريعات في مختلف البلاد فقد أصبحت الحاجة ماسة لمفهـوم علمي للضوابط والأخلاقيات التي تنظم مثل هذه الأمور في البلاد المختلفة مـع الأخذ في الاعتبار الخلفيات الدينية والثقافية، والاجتماعية لهذه البلاد، وأنشئ في العالم الغربي العديد من المؤسسات الأخلاقية، في مختلف العلوم، وعقدت العديد مـن المؤتمرات العلمية، وصدر كم هائل من الوثائق الأخلاقية التي تنظم البحوث

والممارسات في العالم، وقليل منها في العالم الإسلامي، عندما روج المغرضون أن العالم الإسلامي لا يعطي أهمية للضوابط والأخلاقيات، ظنا منهم بأن هذا ليس من تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء. ولم يعلم من جهل الإسلام أن مصادر الشريعة الإسلامية الأولى وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء قد نصت وشجعت بل وأمرت، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام على اتباع القواعد الأخلاقية الأربعة التي تبناها الغرب في الثلاثين عاما الأخيرة، وهي احترام حرية الفرد والعدالة وعمل الخير وعدم فعل الشر.

لقد كانت هناك محاولات عديدة في بعض البلاد الإسلامية لعقد المؤتمرات الدولية التي تناقش المشاكل الأخلاقية، وخصوصا في العلوم الطبية وغيرها والبحوث والإخصاب الطبي المساعد وخلافه، كما كان هناك حوار جاد في بعض البلاد الإسلامية، لإنشاء لجان الأخلاقيات لمناقشة المشاكل الشائكة أخلاقيا ومراجعة البحوث من النواحي الأخلاقية قبل إقرارها كما كانت هناك بعض المحاولات الناجحة لإدخال ضوابط الأخلاقيات لكي تدرس لطلبة الجامعات في بعض البلاد الإسلامية وتلك بعض الأمثلة وليس كلها لما تمّ في العالم الإسلامي.

ولقد آن الأوان لكي تتضافر جهود دول العالم الإسلامي في هذا المجال الحيوي الهام، تحت مظلة هيئة دولية إسلامية دولية واحدة، مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو –، لكي تنسق جهودها من خلال الهيئة الإسلامية للأخلاقيات، التي يترجى أن تمثل صوتا هاديا، ومرشدا لدول العالم الإسلامي، ويكون مسموعا ومؤثرا في سائر أنحاء العالم يعرض وجهة نظر الإسلام في هذا المجال الحيوي الهام.

أهداف الهيئة الإسلامية للأخلاقيات في مجال العلوم والثقافة:

ستدرس الهيئة الإسلامية للأخلاقيات في مجال العلوم والثقافة كل التحديات التي تطرحها العلوم والتطورات الثقافية أمام تحقيق رفاهية المجتمعات الإسلامية وصون كرامتها. كما ستزود الهيئة الإسلامية العلماء والعموم بالخطوط التوجيهية الضرورية بخصوص الجوانب الأخلاقية من منظور الشريعة الإسلامية بما يضمن احترام المبادئ والقيم الإسلامية. وحيث أن التقدم التكنولوجي ينطلق بسرعة فائقة فمن الضروري دراسة نواحيه الأخلاقية بسرعة مماثلة، وإلا حدثت فجوة كبرى بين التطورات العلمية والضوابط الأخلاقية التي تحكم هذه التطورات. كما يتعين

أن تكون ديناميكية العمل في هذه الهيئة سريعة ومتطورة. ويمكن إيجاز أهداف الهيئة الإسلامية للأخلاقيات فيما يلي:

1- بلورة رأي عام في بعض المواضيع الهامة، والحساسة من الناحية الأخلاقية من وجهة نظر الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي.

2- فحص ودراسة بعناية فائقة الأخطار الناجمة عن التقدم التكنولوجي والعلمي من أجل الحفاظ على هوية المجتمعات الإسلامية وحمايتها والمناقشة في حوار لهذه المعطيات لإدراك المخاطر الناجمة عن هذه الممارسات، وذلك لتوفير الخطوط العريضة للكيانات العلمية ولأجل تبصير عموم المجتمع بهذه المخاطر.

3- المساهمة في التنسيق وتبادل الاراء بين لجان الأخلاقيات العلمية والتكنولوجية الوطنية فيما يخص القضايا الإقليمية الإسلامية، وتجاه القضايا التي تتناولها اللجان الدولية.

4- إحداث وتكوين رأي إسلامي موحد بشأن القضايا الأخلاقية العلمية والتكنولوجية، من واقع الدراسات والبحوث، والاستقصاءات التي تجريها اللجان والمؤسسات المعنية بالدول الإسلامية.

5- دراسة قضايا الممارسات الطبية والبيولوجية وبخاصة في مجالات الإخصاب الاصطناعي والاستنساخ والقضايا البيئية وفي مجال المعلوماتية، على ضوء الضوابط الأخلاقية والعقائدية للمجتمعات الإسلامية، والإنسانية عموما، والتعريف بالأخطار التي قد تنجم عن الممارسات والبحوث والدراسات التي يترتب عنها العبث بالخلايا التناسلية الجرثومية أو الأجنة البشرية، ونقل الأعضاء والأسلحة البشرية.

آليات العمل:

- إنشاء جهاز معلومات لتجميع ما تم إعداده وما قد نشر في علم الأخلاقيات على مستوى العالم وفي العالم الإسلامي خاصة.

- إعداد قائمة بالموضوعات التي يجب أن تدرس نواحيها الأخلاقية إسلاميا في الوقت الحاضر.

- تشكيل لجان متخصصة لدراسة النواحي الأخلاقية لهذه الموضوعات التي لم تدرس من قبل أو درست ووجدت فيها متغيرات جعلت الحاجة ماسة لإعادة دراستها أخلاقيا.

– عقــــد المؤتمرات الدولية لمناقشة قضايا الأخلاقيات المعاصرة التي تمت دراستها من قبل.

– إدمــاج الأخلاقيات في العلوم باعتبارها جزءا لا يتجزأ من برامج التعليم والتكوين الطلابي لتعزيز الوعي والشعور بروح المسؤولية لدى الطلبة عند دراسة القضـــايا الأخلاقــية، وذلك يحتاج إلى وضع منهاج دراسي للضوابط والأخلاقيات توطئة لتدريسه في الكليات العلمية في دول العالم الإسلامي خاصة.

– إنشاء لجان الأخلاقيات لمراجعة البحوث في دول العالم الإسلامي.

– تبني حملة إعلاميــة ونشــر الخطوط التوجيهيـــة والدراســـات التحليلية والكتــب المبســطــة والمقالات للرفــع من مستــوى الوعــي وترسيخ الإجماع حول المعايير الأخلاقية.

الخاتمـــــــة:

إن الواجــب العيني للأمة الإسلامية حكومات وعلماء أن يتصدوا جميعا لهذا التهور التكنولوجي، وهذا الجنون العلمي، وفرض القيم الأخلاقية التي جاء بها ديننا الحنـيف، وتصـــديرها للآخــر لكبح جماح العلماء الفوضويين، والعمل على كفالة مصالح الإنسانية إلى ما فيه الخير العام.

وبهذا الإسهام الهادف يعود مجد الأمة الإسلامية وينتهي زمن العولمة الغربية وعندها يكون القرن الواحد والعشرين قرن المسلمين.

والله مــن وراء القصــد

الهوامـــــــش:

[1]– مغنية: محمد جواد: فلسفة الأخلاق فــي الإسلام: 18: دار العلم للملايين بيروت.

[2]– مجلة عالم الفكر: 48، م1: الكويـــت.

[3]– موســى الخلف: العصر الجينومي: استراتيجيات المستقبل البشري: 195.196 سلسلة عالم المعرفة ع 294: الكويت 2003.

[4]– م ن: 209.210.

[5]– مثلا: ندوة الاستنساخ بتونس: 1413: 1998.

[6]– حتحوت حسان: قراءة الجينوم البشري: 231 وما بعدها: ط: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: 1998.

[7]– راجع البحوث التي طبعتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية:

– الحازمي: محسن بن علي: الاسترشاد الوراثي أهمية التوعية الوقائية ومعاييره الطبية والأخلاقية.

- كريم: صالح عبد العزيز: الكائنات وهندسة الوراثات.
- البار: محمد علي: نظرة فاحصة للفحوصات الطبية الجينية ط1998، والظر الشريف: محمد عيد الغفار: بحوث فقهية معاصرة: 2/225 وما بعدها: دار ابن حزم بيروت: 2001.

(8)- موسى الخلف: الجينوم البشري: 203.

(9)- الجابري: أحمد عمرو: الجديد في الفتاوى للأمراض النسائية والعقم: 38: دار الفرقان: عمان: 1994.

(10)- البار: محمد علي: أخلاقيات التلقيح الصناعي: 50: الدار السعودية للنشر، جدة: 1987، الساعي: زهير أحمد: الطبيب أدبه وفقهه: 340: دار القلم دمشق 1993.

(11)- القحطاني: حسن بن فلاح: طفل الأنابيب والتلقيح الصناعي: 63: مكتبة الحبيبي: الرياض: 1994، الجديد في الفتاوى: 63.

(12)- أخلاقيات التلقيح الصناعي: 103.

(13)- بوزغيبة: محمد: التقنين الفقهي والعولمة: م الإحياء: 295 وما بعدها: ع6: 2002.

(14)- ر: الشاطبي: الموافقات: قسم الضروريات.

(15)- أرشيف الإيسيسكو: الرباط.